

تفسير البحر المحيط

@ 69 @ وَهْمٌ صَاغِرٌ وَنَ . . .

في الكلام حذف تقديره : فأخذ الهدد الكتاب وذهب به إلى بلقيس وقومها وألقاه إليهم ، كما أمره سليمان . فقيل : أخذه بمنقاره . وقيل : علقه في عنقه ، فجاءها حتى وقف على رأسها ، وحولها جنودها ، فرفرف بجناحيه ، والناس ينظرون إليه ، حتى رفعت رأسها ، فألقى الكتاب في حجرها . وقيل : كانت في قصرها قد غلقت الأبواب واستلقت على فراشها نائمة ، فألقى الكتاب على نحرها . وقيل : كانت في البيت كوة تقع الشمس فيها كل يوم ، فإذا نظرت إليها سجدت ، فجاء الهدد فسدها بجناحه ، فرأت ذلك وقامت إليه ، فألقى الكتاب إليها ، وكانت قارئة عربية من قوم تبع . وقيل : ألقاه من كوة وتوارى فيها . . .

فأخذت الكتاب ونادت أشراف قومها : { قَالَتِ يَا أَيُّهَا * أَيُّهَا * الْمَلَا } . وكرم الكتاب لطبعه بالخاتم ، وفي الحديث : (كرم الكتاب ختمه) أو لكونه من سليمان ، وكانت عالمة بملكه ، أو لكون الرسول به الطير ، فظنته كتاباً سماوياً ؛ أو لكونه تضمن لطفاً وليناً ، لا سباً ولا ما يغير النفس ، أو لبداءته باسم الله ، أقوال . ثم أخبرتهم فقالت : { إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ } ، كأنها قيل لها : ممن الكتاب وما هو ؟ فقالت : { إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ } ، وإنه كيت وكيت . أبهتت أولاً ثم فسرت ، وفي بنائها ألقى للمفعول دلالة على جهلها بالملقي ، حيث حذفته ، أو تحقيراً له ، حيث كان طائراً ، إن كانت شاهده . والظاهر أن بداءة الكتاب من سليمان باسم الله الرحمن الرحيم ، إلى آخر ما قص الله منه خاصة ، فاحتمل أن يكون من سليمان مقدماً على بسم الله ، وهو الظاهر ، وقدمه لاحتمال أن يندر منها ما لا يليق ، إذ كانت كافرة ، فيكون اسمه وقاية لاسم الله تعالى . أو كان عنواناً في ظاهر الكتاب ، وباطنه فيه بسم الله إلى آخره . واحتمل أن يكون مؤخرًا في الكتابة عن بسم الله ، وإن ابتدأ الكتاب باسم الله ، وحين قرأته عليهم بعد قراءتها له في نفسها ، قدمته في الحكاية ، وإن لم يكن مقدماً في الكتابة . . .

وقال أبو بكر بن العربي : كانت رسل المتقدمين إذا كتبوا كتاباً بدؤوا بأنفسهم ، من فلان إلى فلان ، وكذلك جاءت الإشارة . وعن أنس : ما كان أحد أعظم حرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وكان أصحابه إذا كتبوا إليه كتاباً بدؤوا بأنفسهم . وقال أبو الليث في (كتاب البستان) له : ولو بدأ بالمكتوب إليه جاز ، لأن الأمة قد أجمعت عليه وفعلوه . وقرأ الجمهور : إنه من سليمان ، وإنه بكسر الهمزة فيهما . وقرأ عبد الله : وإنه من سليمان ، بزيادة واو عطفاً على { إِنَّهُ أُلْقِيَ } . وقرأ عكرمة ، وابن أبي عبيدة :

بفتحهما ، وخرج على البذل من كتاب ، أي ألقى إليّ أنه ، أو على أن يكون التقدير لأنه كأنها . عللت كرم الكتاب لكونه من سليمان وتصديره بسم الله . وقرأ أبي : أن من سليمان وأن بسم الله ، بفتح الهمزة ونون ساكنة ، فخرج على أن أن هي المفسرة ، لأنه قد تقدمت جملة فيها معنى القول ، وعلى أنها أن المخففة من الثقيلة ، وحذفت الهاء وبسم الله الرحمن الرحيم ، استفتاح شريف بارع المعنى مبدوء به في الكتب في كل لغة وكل شرع . وأن في قوله : { أَنْ لَا * تَعْلُوا } ، قيل : في موضع رفع على البذل من كتاب . وقيل : في موضع نصب على معنى بأن لا تعلوا ، وعلى هذين التقديرين تكون أن ناصبة للفعل . وقال الزمخشري : وأن في { أَنْ لَا * تَعْلُوا } مفسرة ، فعلى هذا تكون لا في لا تعلوا للنهي ، وهو حسن لمشكلة عطف الأمر عليه . وجوز أبو البقاء أن يكون التقدير هو أن لا تعلوا ، فيكون خبر مبتدأ محذوف . ومعنى لا تعلوا : لا تتكبروا ، كما يفعل الملوك . وقرأ ابن عباس ، في رواية وهب بن منبه والأشهب العقيلي : أن لا تعلوا ، بالغين المعجمة ، أي ألا تتجاوزوا الحد ، وهو من الغلو . والظاهر أنه طلب منهم أن يأتوه وقد أسلموا ، وتركوا الكفر وعبادة الشمس . وقيل : معناه مدعنين مستسلمين من الانقياد والدخول في الطاعة